المحاضرة رقم 05: الحداثة الشعرية -1-

1-مفهوم الحداثة:

أ-لغة:

إن كلمة الحداثة في اللغة العربية تعود في أصلها الاشتقاقي إلى الجذر (ح. د. ث)، وحدث الشيء يحدث حدوثا وحداثة، وأحداثه هو، فهو محدث وحديث، والحديث في اللغة نقيض القديم ويرادف الجديد؛ وهذا يعني أن الحداثة في اللغة العربية ترادف الجدة والتجديد.

ب- اصطلاحا:

يذهب بعض الباحثين إلى أن الحداثة ذات مفهوم غامض لا يمكن تحديده بتعريف دقيق، وربما كان هذا الغموض بسبب تعدد مجالاتها؛ لأنها دخلت في جميع مناحي الحياة الفكرية، فهناك حداثة اقتصادية، حداثة اجتماعية، حداثة تقنية،...وبالتالي فكل اتجاه يعرفها من منطلقه الفكري، وبهذا حدث الغموض.

ولعل من أبرز المفاهيم التي وضعت للحداثة نجد:

-يقال في بيان مفهومها بأنها: مذهب فكري يسعى لهدم كل موروث، والقضاء على كل قديم.

-يعرفها الفيلسوف الفرنسي **جان بودريار** بأنها: "صيغة مميزة للحضارة...تعارض جميع الثقافات الأخرى السابقة أو التقليدية"؛ فهي تعرض كل ثقافة سابقة أيا كان نوعها ومهما كان نفعها.

-والحداثة عند **أدونيس** هي "خروج من النمطية، والرغبة الدائمة في خلق المغاير، كما تعني أيضا نشوء حركات ونظريات وأفكار جديدة، ومؤسسات وأنظمة جديدة تؤدي إلى زوال البنى التقليدية القديمة في المجتمع وقيام بنى جديدة، كما أنها تقوم على قول لم يعرفه موروثنا".

-ويعرف **محمد بنيس** الحداثة بقوله: "ذات بعد معرفي، وهي إلى جانب ذلك ذات أبعاد اجتماعية وسياسية، والبعد المعرفي للحداثة معناه الخروج من الأرضية المعرفية التقليدية".

من خلال التعاريف المقدمة نجد أن الحداثة في صورتها العامة تقوم على معارضة القديم والخروج عليه، بالإضافة إلى الخروج علي الفكر والنظام النمطي السائد في المجتمع بهدف التجديد وخلق المغاير باستمرار، وذلك من خلال الحركات والتنظيرات والأنظمة والمؤسسات التي تعنى بتحطيم البنى التقليدية في المجتمع، فالحداثة في مجملها عملية تعتمد على الإلغاء للقديم، والتحول والتأسيس لفكر جديد،

بالإضافة لذلك فالحداثة لها أبعاد متعددة، منها البعد السياسي، أو الاجتماعي، أو الاقتصادي، أو المعرفي، أو الثقافي، أو الديني.

2-نشأة الحداثة:

أ-عند الغرب:

إن الحداثة في أصلها غربية النشأة ترجع إلى طبيعة الديانة النصرانية المحرفة، وإلى طغيان رجال الدين الكنسي، وهيمنة الكنيسة وعدوانها، تقول إحدى المنتميات لهذا الاتجاه الحداثي: "تمثلت الحداثة الأوروبية منذ بداياتها في الصراع مع المؤسسات الدينية وقوانين الكنيسة والتقاليد الاجتماعية والمفهومات الموروثة، ثم في مرحلة متأخرة مع التقاليد الأدبية لصالح مبادئ الحرية والفردية والابتكار".

يرجع بعض الباحثين نشأتها إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر حيث تم وضع الأسس الفلسفية والسياسية للحداثة، والتي تمثلت في الفكر الفرداني والعقلاني الذي كان ديكارت وفلاسفة التنوير أهم من دعا إليه وبشر به.، ليقوم هيجل بعدهم بتنميتها وتطويرها.

أما كلمة حداثة Modernite فلم تشتق إلا في منتصف القرن التاسع عشر، وفي عام 1849 تحديدا، ويعتقد بأن الشاعر الفرنسي **شارل بودلير** صاحب ديوان (أزهار الشر) هو أول من استخدمها.

ليتعاقب بعد بودلير ركب الحداثيين في الغرب منهم: رامبوا، مالارميه، بول فاليري، لتصل الحداثة الغربية شكلها المتكامل النهائي على يد الأمريكي اليهودي إزرا باوند، والانجليزي توماس إليوت وربرت شولز.

ب-عند العرب:

يقر العديد من النقاد أن جذور الحداثة العربية ضاربة في القدم، بداية من عصر بني أمية ومحاولة التجديد التي قام بها العديد من الشعراء والفلاسفة، لتكتمل وتنضج هذه الحركة الفكرية في عصر بني العباس أين توسعت الدولة ودخلت الكثير من المجتمعات إلى الإسلام وتمازجت الثقافات العربية الإسلامية بالمسيحية واليهودية، فكان التنافس الفكري في التجديد والتغيير يشكل حدثا هاما، وقد تجلت بوادر الحداثة في الشعر عند أبي نواس، بشار بن برد وغيرهم من الشعراء الذين ثاروا على نظام القصيدة العربية ومقدماتها الطللية الغزلية، كل ذلك شكل بدايات حقيقية للتجديد في الفكر والرؤى للحياة والواقع.

ومع حلول عصر النهضة الأدبية تسللت الحداثة الغربية إلى تاريخ أدبنا العربي وفكرنا الفلسفي العقدي عبر الرحلات والنظم الاستعمارية والترجمات الأدبية، وقد وجدت الدعم والسند من دعاة التغيير والتجديد الفكري بداية من دعاة الإصلاح نحو: جمال الدين الأفغاني/ محمد عبده/ عبد الرحمان الكواكبي.

كما وجدت الحداثة في فكرنا وأدبنا العربي تربة خصبة، إذ ترعرع فيها العديد من المفكرين: غالي شكري، علي أحمد سعيد المعروف بأدونيس، خالدة سعيد،كمال أبو ديب، محمود درويش، صلاح فضل، صلاح عبد الصبور، عبد الوهاب البياتي، عبد العزيز المقالح، عبد الله الغذامي، وغيرهم من دعاة الحداثة الأدبية والفكرية.

3-أصول الحداثة:

من أبرز أصول الحداثة نجد:

أ-رفض القديم:

يقول **إدوارد الخراط**: "التعريف الأول للحداثة أنها نفي وأنها نقيض نظام من التقاليد التي رسخت...الحداثة تنطوي إذن على قلق دائم، تنطوي على نوع من الهدم المستمر في الزمن دون أن يتحول إلى بنية ثابتة تنطوي على سؤال مفتوح، لا تأتي السنوات بإجابة عنه"، ويذكر **جابر عصفور** أن الحداثة هي: "خلخلة لكل ما هو ثابت" فهي تقوم على زعزعة الثوابت مهما كانت شرعيتها.

ب-عبادة الجديد وتقديسه:

يقول **أحمد زكي** عن الحداثة بأنها: "تفضيل كل ما هو عصري أو مستحدث عن كل ما هو قديم".

ج-معارضة الدين:

الحداثة في مفهومها الغربي ثورة على الدين الكنسي.

4-سمات الحداثة:

- ✓ **الإنسانية، أو المذهب الإنساني، أو الذاتية:** والتي تقوم على مركزية الإنسان ومحوريته في الوجود والمعرفة والتاريخ.
- ✓ **العقلانية:** والتي تعني إخضاع كل شيء لقدرة العقل.
- ✓ **الحرية:** هي إحدى أسس الحداثة، حتى ذهب **كانط** إلى جعل الإنسان هو الكائن الحر، وجعل من مقدرة الإنسان على التشريع لنفسه دون سند.
- ✓ **التطور:** والذي يعني رفض الثبات والتمرد على الثوابت مهما كان مصدرها.

بعض المراجع المعتمدة في المحاضرة:

-سعد بوترعة، الحداثة (مفهوم وظهور الدعوة لها في الفكر العربي المعاصر)، مجلة المدونة، مج:5، ع: 1، 30 جوان 2018.

-ناصر بن عبد الله القفاري، الحداثة (مفهومها ونشأتها وأصولها وأثرها على العالم الإسلامي)، مجلة الدراسات العربية، جامعة المنيا، مج 49، ع: 2.

-عبد الرحمن إسماعيل محمود الدكروري، مدرسة الحداثة الشعرية في الوطن العربي دراسة في الأسس والمرتكزات الفكرية والفنية، مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، ع: 34، أكتوبر 2021.

-نسيمة كريبع، مفهوم الحداثة والمعاصرة، محاضرات النص الأدبي المعاصر.